

إشكالية نقل الثقافة الجزائرية من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية

رواية "الزلزال" للطاهر وطار، ترجمة وليام غرانارا أنموذجا

The Issue of the Transfer of Algerian Culture from Arabic into English Case study: Tahar Wattar's Azilzal Translated by William Granara

تاريخ الاستلام: 2022/09/12 تاريخ القبول: 2024/02/24 تاريخ النشر: 2024/06/30

نرجس شحات^{*1}

جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2 (الجزائر)

Email : nardjesse.chahat@univ-alger2.dz

رشيدة سعدوني²

جامعة سعد دحلب - البليدة (الجزائر)

Email : rachil30@yahoo.fr

الملخص :

يسلط البحث الضوء على مختلف أليات نقل الثقافة التي تتيحها الترجمة الأدبية، وذلك من خلال ترجمة رواية "الزلزال" للطاهر وطار من العربية إلى الإنجليزية. باستعمال المقاربات الثقافية للترجمة كإطار نظري نقوم باستقراء الصورة التي تنتجها الترجمة عن الثقافة الجزائرية، وإلى أي مدى تكون الإنجليزية، كلغة مهيمنة وثقافة مهيمنة، سببا في تشويه أو اختزال معالم الثقافة الجزائرية التي تم رصدتها في نص الرواية الأصلية. كما نحاول الإجابة عن تساؤلات من قبيل: ما مدى تجلي الثقافة الجزائرية في النص المترجم؟ ما هي المعوقات التي تحول دون نقل سلسل الخصوصيات هذه الثقافة؟ كيف يكون النص المترجم سببا في طمس معالم هذه الثقافة أو تغييرها؟ كما نتعمق الدراسة في سياق متصل بمناقشة العلاقة بين التطور الذي عرفته الدراسات الترجمة، إذ بات الجانب الثقافي أحد أهم العناصر في عملية الترجمة، وارتفاع مستوى الوعي لدى المترجمين بضرورة إيلاء ثقافة النص الأصلي أولوية أكبر، وبالتالي تمكن قارئ النص المترجم من تلقي صورة أكثر دقة عن ثقافة غريبة عنه.

الكلمات المفتاحية: نقل الثقافة، الترجمة الأدبية إلى الإنجليزية، المقاربات الثقافية للترجمة.

Abstract:

The focus will be on the way the translation of the Algerian Arabic novel Azilzal by Tahar Wattar reveals the characteristics of the cultural transfer translation offers. Using Cultural approaches to translation as a theoretical framework, the examination of the novel under study informs about the extent to which English as a hegemonic language and a dominant culture imposes some distortions on the cultural image of Algeria translation conveys. I will also the study investigates to what extent Algerian culture is visible through the translated text and what kind of constraints may alter this culture, make it less visible, or even occult it. Finally, the study will examines the relationship between the influence of recent cultural approaches, as far as otherness and culture are concerned, and the increasing awareness of translators about the importance of bringing, as safe as possible, the cultural specificities of the source text to the target text reader.

Keywords: Cultural Transfer, Literary Translation into English, Cultural Approaches to Translation

* المؤلف المرسل



المقدمة

تعتبر الترجمة الأدبية وسيلة مهمة من وسائل التبادل الثقافي بين الشعوب. فمن خلال الأعمال الأدبية المترجمة يمكن للقارئ الولوج إلى عوالم غريبة عنه والاحتكاك بثقافة تختلف عن ثقافته. ولما كانت الثقافة أحد أهم محاور الترجمة الأدبية، سنحاول في هذه الدراسة تحليل الكيفية التي تم بها نقل الثقافة الجزائرية في الترجمة الإنجليزية لرواية "الزلازل" للطاهر وطار. وكانت هذه الترجمة قد صدرت عام 2000 للمترجم والمفكر الأمريكي وليام جرانارا (William Granara) بعنوان *The Earthquake*. واعتمادا على المقاربات الثقافية للترجمة كإطار نظري سنقوم بتحليل بعض الأمثلة للوقوف على مدى تجلي أو طمس المعالم الثقافية للنص الأصلي في الترجمة وعلاقة ذلك بالسياق التاريخي والثقافي الذي أنتجت فيه وكذا إمكانية اللغة الإنجليزية وهيمنة الثقافة الغربية في عالمنا اليوم.

ولهذا الغرض نعرض في البداية لبذة مختصرة عن الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية مع تركيز على السياق التاريخي الذي ظهرت فيه. لنتقل بعدها إلى عرض آراء بعض المفكرين في الترجمة حول إمكانية نقل الثقافة في الترجمة وأهمية السياق في إنجاح أو إفشال هذه المهمة. ولفهم أفضل لأهمية السياق فيما يخص الرواية التي بين أيدينا أفردنا الجزء الثالث من الدراسة لتقديمها للقارئ حتى يتسنى له استيعاب الأمثلة المدروسة لاحقا بفعالية أكبر.

القسم الأخير من هذه الدراسة هو الأهم وهو مقسم إلى جزأين. جزء أول نقوم فيه بتحليل العتبات النصية للنص المترجم. ونعتقد أن تحليل هذه الأخيرة لا يقل أهمية عن تحليل أمثلة من النص، وقد يعود علينا بالفائدة الكبيرة فيما يتعلق بالفهم الدقيق للسياق التاريخي والثقافي العام الذي رأت فيه هذه الترجمة النور. كما يمكننا تحليل بعض الأمثلة من

النص، في الجزء الثاني من هذا القسم، من الوقوف على بعض الأسباب التي من شأنها تسهيل أو إعاقة نقل الثقافة الجزائرية إلى متلقي النص الإنجليزي.

1. الرواية الجزائرية باللغة العربية:

تعد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية حديثة العهد مقارنة بنظيرتها المكتوبة باللغة الفرنسية. ويجمع الباحثون على أن البداية الحقيقية للرواية الجزائرية باللغة العربية تعود إلى أواخر الستينات وبداية السبعينات من القرن الماضي. ويشير مصطفى فاسي إلى أنه على الرغم من وجود روايات جزائرية عربية منشورة قبل هذا التاريخ، كرواية "عادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو (1947)، إلا أن التجارب الروائية الأكثر نضوجاً وجدية لم تبدأ بالظهور إلا بعد سنوات من استقلال الجزائر عن فرنسا. ومن بين أول الأعمال الروائية يمكن أن نذكر "ريح الجنوب" (1971) لعبد الحميد بن هدوقة، وكل من "اللاز" (1972) و"الزلزال" (1974) للطاهر وطار. (م. فاسي، 2000، ص3)

وجاءت رواية "ريح الجنوب" متسقة مع السياق الثقافي والسياسي الذي ظهرت فيه، فتبنت الواقعية الاشتراكية ودافعت عن فكرة الإصلاح الزراعي وسلطت الضوء على الغبن الذي عانت منه فئة كبيرة من الجزائريين، في الأرياف خاصة، ونددت بممارسات الإقطاعيين وملاك الأراضي (ج. بن حركات، 2017، ص50). وتضيف ديبى كوكس (Debbie Cox) على ذلك أن الرواية عبرت عن حالة الخيبة واليأس التي عمت بعد الاستقلال بسبب عدم تفعيل مبادئ الثورة التحريرية وتطبيقها على أرض الواقع (D. Cox, 2017, 165). أما رواية "اللاز" فقد نقدت الصورة المثالية للثورة بالحديث عن الخلافات التي نشبت إبان الثورة بين الأطياف السياسية ذات الرؤى المتباينة حول أي نوع من الجزائر المستقلة سيحقق طموحات وآمال شعب عانى الكثير إبان الاستعمار وطوال سنوات الثورة. (D. Cox, 2017, 165)

وتزايد الاهتمام بهذا النوع الأدبي سنوات الثمانينات، ليس فقط من خلال إثراء المكتبة الجزائرية بالكثير من الأعمال الروائية باللغة العربية، بل أيضا بنشر الدراسات النقدية عن هذه الأعمال وكذا ترجمة الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية إلى العربية. وفي سنوات التسعينات بدأت الرواية الجزائرية، سواء المكتوبة بالعربية أو الفرنسية، تلفت الانتباه على المستوى الدولي. وفي هذه الفترة شهدت الرواية الجزائرية تطورا من حيث الشكل والمواضيع، ويمكن ربط ذلك بما مرت به الجزائر آنذاك من أحداث مأساوية وكذا انتقال العديد من الأدباء الجزائريين لعواصم عربية وأوروبية. ونالت روايات أحلام مستغانمي وواسيني الأعرج خاصة شعبية واسعة لدى القراء وإشادة من الكثير من النقاد، الأمر الذي أدى إلى ترجمة العديد من أعمالهما الأدبية إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية (D. Cox, 2017, 168). وتلاحظ كوكس أن خطاب الحرب على الإرهاب كان له الأثر البالغ على ما يتم نشره وترجمته، وكذا على مبيعات الروايات التي تناولت موضوع الإرهاب من المنظور العلماني. كما أسهم ذات النوع من الخطاب في فتح الباب أمام الرواية الجزائرية واتساع رقعة مقروئيتها وتمكين أدباءها من المشاركة في النقاش حول مواضيع العنف والتطرف وأسبأبهما. (D. Cox, 2017, 166)

2. الترجمة إلى الإنجليزية وتحدي نقل الثقافة:

تعتبر الترجمة إحدى أدوات نقل الثقافة، ويمكن اعتبار الروايات المترجمة نافذة يمكن للقارئ من خلالها النظر إلى ثقافة تختلف عن ثقافته واكتشاف بعض تفاصيلها، حتى شبهت الترجمة بالجرس الذي يصل بين ثقافتين. وقد أسال موضوع نقل الثقافة عن طريق الترجمة الكثير من الخبر، واختلف المنظرون حول دور الترجمة في إبراز الشق الثقافي، وأنجع سبل الحفاظ على الخصائص الثقافية للنصوص أثناء نقلها للغة الهدف. كما حاول الدارسون الإجابة عن أسئلة من قبيل: كيف يجب أن يتعامل المترجم مع العناصر الثقافية في النص الأصلي، أي نوع من النصوص يكون 'ملائما' من وجهة نظر الثقافة المستقبلية،

وإلى أي مدى يمكن للترجمة إنتاج نص مكافئ ثقافيا للنص الأصلي. وتزداد جدلية هذا النقاش حين نربطه بفكرة الهيمنة ممثلة في اللغة الإنجليزية والثقافة الغربية.

ففي مقدمته لكتاب *The Scandals of Translation* ('فضائح الترجمة') يوضح لورانس فينوتي (Lawrence Venuti) أن تعدد العوامل المتحكمة في إنتاج أي ترجمة تجعل المترجم غير قادر على إحكام السيطرة على ما يترجمه، خاصة إذا كانت الترجمة نحو الإنجليزية. فالمترجم قد يكون مقيدا بتعليمات دار النشر حول الشكل العام الذي يجب أن يأخذه النص المترجم، كما قد يتجه، بسبب آرائه الشخصية، وبشكل عفوي أو متعمد، لطمس هوية النص الأصلي. عموما، تلعب مكانة اللغة الإنجليزية وهيمنتها دورا في الشكل النهائي الذي تأخذه النصوص المترجمة، وهناك إرادة للدفع بالنصوص المترجمة لتبني أدبيات اللغة الإنجليزية والتشبه بالنصوص المكتوبة أصلا باللغة الإنجليزية (L. Venuti, 1998, 1-5). كما يؤكد ذات المفكر أن الترجمة التي تتم باتجاه اللغة الإنجليزية تحاول دائما النسخ على منوال أدبياتها وتخليص النص المترجم من أي مظهر للغرابة أو الاختلاف، فتكون النتيجة نصا بلا هوية يصعب معرفة كونه ترجمة. كما قدم الكثير من الأمثلة الدالة على أن أغلبية الترجمات التي تتم إلى اللغة الإنجليزية منذ القدم وحتى وقتنا الحالي تتسم بسلاسة وطلاقة النصوص المكتوبة أصلا باللغة الإنجليزية، وهذا هو تحديد بيت الداء بالنسبة لفينوتي فالنص المترجم يُعبر عن حقيقة أخرى وعن صوت آخر وعن ثقافة أخرى ولا يجب بأي حال من الأحوال أن يشبه النص الإنجليزي أصلا حتى وإن كان يخاطب نفس المتلقي. فمن الضروري أن يكون القارئ على وعي تام بأنه بصدد قراءة نص غريب عنه وأن يحاول فهم وتقبل اختلاف هذا النص (L. Venuti, 1995, 1-17).

وهو تقريبا ما تذهب إليه غاياتري سبيفاك (Gayatri Spivak) لكن من منظور ما بعد استعماري، إذ تعتبر أن ما يحدث في الترجمة ما هو إلا امتداد لإمبريالية غربية انتهت

على الأرض لكنها لا تزال راسخة في وجدان الغرب الذي أنشأها و العالم الثالث الذي عانى من ويلاتهما:

"The translator has to make herself, in the case of Third World women writing, almost better equipped than the translator who is dealing with the western European languages, because of the fact that there is so much of the old colonial attitude, slightly displaced, at work in the translation racket." (G. Spivak, 2012:320)

فبالنسبة لسيففاك الكيفية التي تتم بها ترجمة أدب العالم الثالث إلى الإنجليزية تعكس مدى هيمنة اللغة الإنجليزية لدرجة أن هذه الترجمات في معظمها تطمس الخصائص الثقافية و الأدبية للنصوص الأصلية (G.Spivak, 2012 : 321)

وفي ذات السياق يلاحظ لوفافر (André Lefevere) أن:

"Western cultures 'translated' (and 'translate') non-Western cultures into Western categories to be able to come to an understanding of them and, therefore, to come to terms with them." (A. Lefevere, 2002:77)

أي أن الثقافات الغربية 'ترجمت' (وتُترجم) الثقافات غير الغربية إلى أنماط غربية حتى تتمكن من فهمها وبالتالي الاتفاق معها. بعبارة أخرى، يجب على أي ترجمة موجهة للقارئ الغربي أن تقدم في شكل ولغة مألوفين عنده وإلا اعتبرت ترجمة فاشلة. فمثلا أشارت إليزابيث هولت إلى أن الترجمة الفرنسية لرواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي أغفلت أهمية أسلوب النص، واعتماد الكاتبة على الشعر العربي في بناء معنى الرواية لم يكن واضحا في الترجمة. وعليه فإن النصين لا يغطيان نفس نطاق المعاني وهو ما يؤدي إلى تلقي قراء النص المترجم معان تختلف عن تلك التي تلقاها قراء النص الأصلي. (qtd in D.Cox,) (2017 :168)

وعن ارتباط الترجمة وتأثرها بالمحيط الذي ينتجها، يرى لوفافر أن الدافع وراء النظر للترجمة بعين الريبة في الكثير من الأحيان هو أن:

“Translation is not just a “window opened on another world,” or some such pious platitude. Rather, translation is a channel opened, often not without a certain reluctance, through which foreign influences can penetrate the native culture, challenge it, and even contribute to subverting it.” (A. Lefevre, 2003:2)

فبمجرد وقوع الاختيار على نص حتى تتم ترجمته، تكون ثقافته عرضة لخطر التشويه. ويمكن النظر إلى هذا السلوك على أنه نوع من المقاومة تبديه الثقافة المترجم إليها لكل ما هو غريب عنها ولا يشبهها. ولعل المقاومة تكون أكثر حدة إذا تعلق الأمر باللغة الإنجليزية، إذ يشير سوزان باسنيت (Susan Bassnett) ولوفافر إلى أن:

“Translations into English, particularly from third world languages, are almost invariably slanted toward English: we are confronted with what we may term the 'Holiday Inn Syndrome', where everything foreign and exotic is standardised, to a great extent.” (S. Bassnett & A. Lefevre, 1998:4)

من خلال دراسة تاريخية معمقة للعديد من الترجمات الأدبية لاحظ المفكران وجود رغبة لدى المترجمين إلى اللغة الإنجليزية بتدجين النصوص وإخضاعها لما هو مقبول وفقا لمعايير هذه اللغة. لا شك أن هذا الاتجاه أدى إلى العديد من التصورات الخاطئة في الغرب عن ماهية "الأخر" وكذا تسليط الضوء على جوانب معينة من الثقافة المنقول منها وتجاهل مقصود أو غير مقصود- لجوانب أخرى تكون في الكثير من الأحيان ضرورية لفهم صحيح أو لنقل مقبول لهذه الثقافة.

غير أنه في عصرنا هذا قد نخذ النظر إلى الترجمة كما تصفها باسنيت فيما يلي:

“Translation is not just the transfer of texts from one language into another, it is now rightly seen as a process of negotiation between texts and between cultures, a process during which all kinds of transactions take place mediated by the figure of the translator.” (S. Bassnett, 2005:6)

فالترجمة تسهم بشكل أو بآخر في بناء صورة عن الثقافة الأخرى لدى متلقي النص المترجم. ويكون مدى اقتراب هذه الصورة من الواقع أو ابتعادها عنه مرهونا بخيارات

المترجم اللغوية وغير اللغوية. أي أن الترجمة جزء من منظومة سياسية وثقافية وتاريخية، ولا يجب تناولها من جانب في بحث بل على العكس يجب فهمها على أنها انعكاس للسياق الثقافي والإيديولوجي الذي أنتجت فيه. فكثيراً ما تكون اختيارات المترجم مرتبطة بمعايير التلقي عند القارئ الأنجلوفوني، أو برغبته في إنتاج نص مقروء، أو لوجود قيود تفرضها دور النشر (A. Chesterman 1997 :113)

3. رواية "الززال" للطاهر وطار:

نشرت رواية الززال عام 1974، ويمكن تصنيفها ضمن أدب الرحلة وتوثق لرحلة الشيخ بولارواح في مدينة قسنطينة للبحث عن أقرباء يساعده على الالتفاف على قرارات الإصلاح الزراعي. وتعتبر رواية "الززال" خطوة مهمة في تطور الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية بالنظر إلى أسلوبها الأدبي وموضوعها. فاستعمال الرواية لتقنيات الحوارات والمشاهد المتقطعة، والانتقال السريع بين الماضي والحاضر، والمونولوج الداخلي، وكذا ما تناولته من مواضيع، ساهم في إنتاج نص ما بعد استعماري يقبل تأويلات مختلفة. فالطاهر وطار يؤمن بأن وظيفة الأدب هي إحداث التغيير وليس الإكتفاء بسرد الواقع. (T.Wattar, 2000, 19)

إختار وطارالشيخ عبد المجيد بولارواح ليكون بطل رواية تقع أحداثها في السنوات الأولى بعد الاستقلال. وبولارواح ليس بطلا بالمعنى التقليدي، فهو يمثل طبقة ملاك الأراضي الجشعين، والذي قرر نتيجة صدور قوانين الإصلاح الزراعي أن يخوض حرباً ضد الحكومة، فشد الرحال إلى مدينة قسنطينة بحثاً عن أقرباء ينقل إليهم ممتلكاته خشية مصادرتها. وطوال رحلة البحث يكون بولارواح في حالة صراع وانقسام بين ماضٍ يحن إليه ويراه خالياً من العيوب وحاضر ينقم عليه ويصفه بزلزال يحاول مقاومته. وتداخل صراع بولارواح الداخلي مع مشاهد حالات الفوضى والتدهور في مدينة قسنطينة وكذا استحضار

أحداث من الماضي بالتزامن مع وقوع أحداث في الحاضر من وجهة نظر بولارواح، كلها أمور من شأنها أن تزيد تجربة القراءة صعوبة (ع. زغبنة، 2004، ص 264).

وقد استعمل الطاهر وطار تقنية المونولوج الداخلي وتيار الوعي ليتمكن القارئ من الولوج إلى عوالم بولارواح الداخلية وفهم شخصيته ودوافعه للقيام بكل الأمور اللاأخلاقية التي قام بها، وكذا تقبل انهياره في نهاية الرواية. وفكرة أن الأحداث تنقل للقارئ على لسان بولارواح في حد ذاتها مثيرة للاهتمام، فبولارواح شخصية غير سوية وحكمه على الأحداث مرتبط بما إذا كانت تصب في مصلحته أو لا. وحتى استعماله للآيات القرآنية والأحاديث النبوية يكون من أجل تبرير أفعاله وإعطائها صبغة شرعية، وهو ما يفسر استعماله المتكرر لكلمة "الزلزال" والرجوع إلى الآيات القرآنية التي تتحدث عنه عند وصف التغيير الكبير، بالمعنى السلبي، الذي طرأ على مدينة قسنطينة عشية الاستقلال. وهو ما يؤكد فكرة أن الرواية من حيث بنائها تضع القارئ أمام الكثير من التحديات، وتفرض عليه نوعاً من الجدية والتمعن أثناء القراءة (ع. زغبنة، 2004، ص 261).

4. نقل الثقافة الجزائرية في الترجمة الإنجليزية لرواية "الزلزال":

لفحص ما آلت إليه الثقافة الجزائرية في الترجمة الإنجليزية لرواية "الزلزال"، سنهتم أولاً بتحليل بعض عناصر النص الموازي أو العتبات النصية كالغلاف والمقدمة ومقدمة المترجم ثم نتقل بعد ذلك لنص الرواية.

عادة ما يكون غلاف الكتاب بوجهه أول شيء يلفت انتباه القارئ، فهذا الاتصال الأولي من شأنه أن يحدد مدى اهتمام القارئ بالكتاب وما إذا كان سيتخذ قراره باقتنائه أولاً. وعليه يتوجب أن يكون الغلاف جذاباً من حيث العنوان والتصميم. يمكن ملاحظة استعمال الوجه الأمامي للترجمة خلفية قائمة مع إظهار العنوان باللون الأبيض، ويبدو ان الصورة في الخلفية هي لمدينة قسنطينة، وهي صورة لا تحمل أي إشارات إيجابية

بل تعطي شعورا بالخوف وعدم الراحة وهو ما يتناسب مع موضوع الرواية، فقسطنطينة التي يصفها الشيخ بولارواح هي مدينة غارقة في الفوضى والتخلف. وعليه يمكن اعتبار اختيار صورة الغلاف موفقا من حيث عكسها بعض مضمون الرواية ولفتها انتباه القارئ لنوع النص الذي هو بصدد مطالعته، الأمر الذي لا محاله يسهم في نقل ثقافي سلس لبعض ملامح النص الأصلي.

اختار جرانارا أن يحتفظ بنفس عنوان النص الأصلي من خلال المكافئ الإنجليزي لكلمة "الززال" *The Eartquake*. بالنسبة للقارئ العربي يحمل العنوان الكثير من الدلالات الدينية ويتجاوز بالتأكيد الزلزال كظاهرة طبيعية. من البديهي أن تحيل المفردة العربية إلى معان جاء ذكرها في القرآن الكريم وزخر بها نص الرواية التي عمد كاتبها إلى استخدام الآيات القرآنية التي تصف هول مشهد قيام الساعة وكيف أن الإنسان يُزلزل زلزالا (سورة الحج الآية ٢، سورة الزلزلة) من بداية الرواية وحتى نهايتها، وربط ذلك بحال مدينة قسنطينة وما آلت إليه بعد أن غزاها القرويون وعاثوا فيها فسادا. فلا شك أن المعنى الذي يريده الكاتب هو ذلك الذي جاء تفصيله في القرآن الكريم، فبالنسبة للشيخ بولارواح ما شهدته قسنطينة بعد أن رحل عنها الفرنسيون ومن على شاكلتهم من الجزائريين هو زلزال حقيقي لا يعلم تبعاته إلا الله. إن المكافئ الإنجليزي الذي اختاره المترجم مقبول تماما من حيث أنه يحيل إلى فكرة التغيير المفاجئ والكارثي، لكنه بالتأكيد لن يوجه قارئ النص المترجم إلى المعاني التي سيستدعيها قارئ النص الأصلي بشكل عفوي. لقد كان المترجم على وعي بأهمية هذه المعاني لفهم رسالة الرواية وهو ما دفعه لتقديم شرح مستفيض للمرجعية الدينية للعنوان في مقدمته للقارئ الأنجلو فوني، فعجز المكافئ الإنجليزي عن نقل كل المعاني والملاحم الثقافية تم تداركه في مقدمته المترجم (T.Wattar, 2000 : 15-23) والتي سنُعي بتحليلها فيما سيأتي.

في الوجه الخلفي للترجمة الإنجليزية لرواية "الزئزال" نجد فقرتين طويلتين نسبياً تعرفان

بالرواية والسياق الذي نشرت فيه متبوعتان بفقرتين قصيرتين تقدمان الكاتب والمترجم.

"This is the vision of post-colonial Algeria — a society in chaos, a world turned upside down — articulated in graphic detail and drawn from the stark images of Islamic eschatology and apocalyptic legends. Shaykh Boularwah's odyssey transports us from past to present, colonialism to independence, tradition to modernity, hope to despair, and from one failed ideology to another. Written in the early 1970's, this classic work is an ominous message about the evils of intolerance, ignorance and extremism, told in the language that resonates loudly, presciently foretelling the dreadful events which would later besiege Algeria." (T.Wattar, 2000:cover page)

إن حقيقة أن الترجمة تم نشرها سنة 2000 يفسر إقحام رسائل عن التطرف والتعصب الديني بشكل متعمد، فالجو العام آنذاك في العالم الغربي كان مرحباً بهذا النوع من الخطاب، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية. فالاستعانة بخطاب الحرب على الإرهاب سيزيد حتماً من جاذبية الرواية ويساعد على انتشارها. فالرواية من وجهة نظر الناشر والمترجم لا تصف الوضع الصعب في الجزائر عشية الاستقلال وحسب، بل إنها أيضاً تتنبأ بما ستعانيه الجزائر لاحقاً إبان العشرية السوداء.

حتى وإن سلمنا جدلاً بأن النص يقبل قراءات متعددة، فإن الزعم بأن الرواية تنبأت بزلزال أكبر وأخطر ستعرفه الجزائر في السنوات المقبلة (في إشارة إلى العشرية السوداء) يبدو فيه شيء من المبالغة. إن قراءة مقدمة الطاهر وطار للرواية تزيد من قناعتنا بأن هناك محاولة لتحميل النص أكثر مما يحتمل، وإرادة للعزف على وتر التعصب الديني وجعله السبب وراء كل الآلام والأوجاع. فمن الواضح أن المترجم يود توجيه القارئ باتجاه معين ونحو فهم معين، وهو ذات التوجه الذي سنجده في مقدمة الناقد الأدبي جابر عصفور لهذه الترجمة. بيد أن وطار في مقدمته أوضح بأنه يحاول تعريف القارئ العربي على

جزائر ما بعد الاستقلال، جزائر كل ما فيها جديد، تحدياتها، صراعاتها، فسادها، ومحاولات إصلاحها دون أن يخفي إيمانه بالاشتراكية كنهج ملائم للمرحلة (T.Wattar, 2000:7-8). فمن الواضح أن الصراع المراد إبرازه في الرواية هو ذلك الحاصل بين طبقة ملاك الأراضي والإقطاعيين المناهضين لقوانين الإصلاح الزراعي والطبقة الحاكمة الجديدة التي تحاول تفعيل سياسات جديدة للنهوض بجزائر شبه مدمرة خلفها الاستعمار. يمكننا القول في هذه الحالة أن مثل هذا التقديم للترجمة الإنجليزية فيه شيء من الانحراف عن المعاني الأصلية كما عبر عنها المؤلف وبالتالي طمس لصورة الجزائر التي أراد وصفها. وهو ما يمكن تفسيره على أنه تماهي مع السياق العام وإذعان لسطوة الخطاب السائد. وفي محاولة للترويج أكثر للكتاب يتم في نفس الفضاء تقديم وطار كأحد رواد

الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية:

"Tahir Wattar is a pioneer of the modern Arabic novel in Algeria. In addition to his many novels, he has also written several plays and short stories. His works have been translated into French, Spanish and Italian and adapted for the theatre." (T.Wattar, 2000: cover page)

فإعلام القارئ أنه أمام كاتب مهم تمّ ترجمة أعماله إلى لغات عدة يوحي بأن هذا الوصف لا خلاف عليه. بالتأكيد الطاهر وطار هو أحد رواد الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية ولا يمكن لأحد إنكار فضله في النهوض بالأدب الجزائري. لكن ظهور الرواية الذي تزامن مع قرار التعريب، والرقابة الشديدة على ما يتم نشره آنذاك، وضع الكثير من الكتاب موضع الشك فيما يخص حريتهم الفكرية. فنعنت الأعمال الأدبية المنشورة باللغة العربية بأنها ترويج لأفكار الطبقة الحاكمة وسياساتها الاشتراكية، ووجود الرواية في حد ذاته ما هو إلا انعكاس لإرادة سياسية في فرض اللغة العربية كلغة رسمية بالقوة (D. Cox, 2002: 44). بالنسبة للناسر هذه التفاصيل قد لا تكون مهمة، فالهدف من وراء نشر الكتاب هو بيعه،

وواقع السوق يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، فتحقيق الربح المادي لا يقل أهمية عن الخدمة الثقافية التي يقدمها الكتاب من حيث تقديمه للثقافة الجزائرية للقارئ الأنجلوفوني.

قدم الناقد الأدبي المصري جابر عصفور لهذه الترجمة وعرض من خلالها قراءته الخاصة للرواية. ويبدو جلياً أن الناقد المصري قد حذا حذو النص على الغلاف واختار أن يقدم للقارئ الأنجلوفوني النص الذي يريد قراءته. حيث ذهب عصفور إلى أن الرواية بعد مرور عقدين على نشرها تبدو وكأنها أرسلت إشارات إنذار مسبقاً لما هو واقع الآن (وأواخر التسعينات). فنهاية الرواية بدخول الشيخ بولارواح إلى مستشفى المجانين وليس موته تنبؤ باحتمال عودة أمثاله من المحافظين المتعصبين من جديد، وهو ما حدث بالفعل في الجزائر في تسعينات القرن الماضي حيث ظهرت طبقة معارضة تستغل الخطاب الديني لتبرير جرائمها الإرهابية (T.Wattar, 2000: 11). لا يمكن لعاقل أن ينكر ما تسبب به العنف الإسلامي من كوارث وما أضر عنه من زلازل حقيقية أدخلت الجزائر في دوامة كان يمكن أن تدمرها. لكن الذي أراي حياً بالتوقف عنده هو العلاقة السببية التي بنى عليها الناقد رؤيته وقراءته للرواية. فقد سبق وأن أشرنا إلى أن مثل هذا الطرح يصير على إعطاء الرواية بعداً لا نعتقد أن الكاتب أرادها لها. والجدير بالذكر أن الناقد المصري لم يتبنى هذه القراءة بسبب تقديمه للترجمة فحسب، بل إنه نشر العديد من المقالات التي تتبنى ذات الفكرة باللغة العربية². وتتفق هنا مع التحليل الذي قدمته كل من مديحة عتيق (م. عتيق، 2011: 71) وديبي كوكس (Cox, 1997:12) واللذان تقرآن شخصية بولارواح كرمز للفساد والماضي الذي لا مكان له في الجزائر ما بعد الاستقلال وهو ما يفسر رفضه للحاضر بحلوه ومره.

تسمح العتبات النصية بتهئية القارئ للنص، وتعريفه على بعض التفاصيل والمعلومات التي قد تكون بديهية ومعلومة لقارئ النص الأصلي لكنها مجهولة لدى معظم

قراء النص المترجم. ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار أن مقدمة جابر عصفور عرفت القارئ الأنجلوفوني على الرواية الجزائرية بشكل إيجابي، غير أنها أقحمت عن قصد الكثير من الرسائل غير الضرورية في هذا السياق، وبالتالي وجَّهت القارئ نحو فهم معين. فصورة الجزائر كما عكستها هذه المقدمة فيها شيء من التهويل والمغالاة. كما أنها لم تهتم بالرواية قدر اهتمامها بتمرير أفكار عن التنويريين ومعاركهم ضد الظلاميين في العالم العربي. قد نتفق أو نختلف مع هذه الأفكار لكننا نعتقد أن مكانها حتماً ليس مقدمة هذه الترجمة لما قد ينجم عنها من لبس في الفهم. وفي هذا السياق يلاحظ جيرارجينات (Gérard Genette) أن كثيرا ما يستغل كُتاب المقدمات هذه المساحة للترويج لأفكار معينة أو للدفاع عن قناعات بعينها فيصبح الكتاب مجرد أداة تُستعمل بهدف طرح قضايا قد لا تمت له بصلة. (G.Genette, 2001:271)

تعتبر مقدمة المترجم أهم العتبات النصية التي يجب التوقف عندها وتحليلها بتمعن. في الجزء الأول من المقدمة قام جرانارا بتحليل شخصية بطل الرواية بولارواح وتقريبها من القارئ بإعطاء أمثلة مشابهة لها موجودة في الأدب الغربي. وركز في تحليله على تَميُّز الرواية من حيث تمحورها حول شخصية البطل الفاسدة وغير السوية وهو أمر غير مألوف في الرواية العربية التي عادة ما يكون البطل فيها مثاليا يمثل قوى الخير والتغيير وينتصر في النهاية، بعد صراعات كثيرة، على قوى الشر (T.Wattar, 2000: 15-16). أما في الجزء الثاني من المقدمة فيعرض المترجم لسياق ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية وما يميزها عن نظيرتها المكتوبة باللغة الفرنسية، مشيرا إلى أن الأولى اختارت أن تستفيد من الموروث العربي الإسلامي عكس الثانية. لينتقل بعدها للحديث عن تعقيد أسلوب الرواية وبنائها والذي يجعلها مفتوحة على قراءات متعددة (T.Wattar, 2000: 18).

إن إطلاع القارئ الأنجلوفوني على هذه المقدمة يعود عليه بالنفع الكثير. فقد حرص المترجم على تزويد القارئ بكل ما يفيد في رحلة القراءة، بادئا بتقديم الرواية والسياق الذي صدرت فيه، لينتقل إلى وصف المشهد الثقافي والاجتماعي والسياسي في الجزائر غداة الاستقلال. كل هذا بأسلوب غاية في السلاسة دون إصدار أحكام أو إعطاء آراء من شأنها التأثير على كيفية تلقي النص. يمكن القول بأن هذه المقدمة تعكس معرفة المترجم بالثقافة والتاريخ الجزائري، وهو ما سمح بإعطاء صورة قريبة من الواقع عن الجزائر وبالتالي السماح بنقل الثقافة عن طريق الترجمة بشكل فعال.

وجرانارا ليس مترجما مغمورا بل هو أستاذ مرموق بجامعة هارفارد وباحث مهتم بالتراث والأدب المتوسطي عموما والمغاربي خصوصا. وقد انعكس اهتمامه هذا بإدراجه رواية الزلزال في مناهج الدراسة. كما أن جرانارا مهتم بالدراسات ما بعد الاستعمارية وحوار الثقافات³ وهو ما يدعم فكرة أن الترجمة هي إلى حد كبير نتاج السياق الثقافي الذي تظهر فيه، فمقارنة بترجمات ظهرت أوائل القرن العشرين (الترجمة الإنجليزية للجزء الأول من "الأيام" مثلا) يمكن القول إن هذه الترجمة قد خطت خطوات محترمة باتجاه تقبل "الآخر" والانفتاح على ما هو مختلف ومجهول. بالطبع لا يمكن التعميم بأي حال، فحتى في عصرنا هذا، ومع كل ما عرفته الإنسانية من تطور تكنولوجي ومعرفي، ما زلنا نجد الكثير من النصوص الأدبية المترجمة التي تُحمل هذا الجانب وتعامل بشيء من الاستخفاف مع ما لا تعرف أو ما يختلف عنها.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أنه من الملاحظ في العقود الأخيرة تغير إيجابي في تعامل الكثير من المترجمين مع الرواية العربية، فبات هناك اهتمام أكبر بكل تفاصيل النصوص وعمل جاد على نقلها بأفضل شكل ممكن للقارئ الأنجلوفوني. ويلاحظ إدوين غينتسلر (Edwin Gentzler) أن:

translators have increasingly become more empowered and less self-effacing, a development that has allowed theorists to better view the process of mediating between cultures and/or of introducing different words, forms, cultural nuances, and meaning into their own respective culture. (Bassnet & Lefevre, 1998: ix)

وهو ما يؤكد أهمية وعي المترجم بدوره كوسيط ثقافي في إنتاج نصوص مترجمة تنهي بالآخر وتقدمه كما يستحق أن يُقدّم. فمثلا عمدت باربارا رومارين (Barbara Romaine)، مترجمة رواية "خالتي صفية والدير" لبهاء طاهر، للاستعانة بالمؤلف وأكدت أنه كان شريكا فعلا في الترجمة (B.Taher, 1996: XI). وكان نفس المؤلف قد تراجع عن اتفاقه مع إحدى دور النشر لعدم رضاه عن ترجمة روايته "قالت ضحى" إلى الإنجليزية وكان على وشك مقاضاتهم⁴. تعكس هذه الأمثلة تزايد الوعي بأهمية الترجمة كأداة للانفتاح على مختلف الثقافات وفهمها بشكل أفضل. وتوفّر مثل هذه الظروف المثالية يؤدي حتما إلى الحصول على نتائج مرضية فيما يتعلق بتجلي الثقافة العربية في النصوص المترجمة.

إن مترجمين من أمثال دينيس جونسون ديفيز، وويليام جرانارا وهامفري ديفيز ساهموا في تقديم الأدب العربي للقارئ الإنجلوفوني بطريقة تحترم الثقافة الأصلية وتسمح بالتعرف عليها إلى حد مقبول. فإن كانت مجهودات هؤلاء جديدة بالاحترام، وجب في هذا الموضوع الإشارة إلى أن الترجمات الجيدة ثقافياً⁵ للعديد من الروايات العربية أصبحت ممكنة بسبب الظروف المواتية كإمكانية التواصل بين المؤلف والمترجم، والاهتمام بالثقافة العربية والمعرفة العميقة بها، والتقدم في مجالات المعرفة المختلفة وزيادة الوعي بأهمية "جميع" الثقافات في عالم اليوم.

العناوين الفرعية في الرواية هي عناوين فصولها السبعة، ويحمل كل فصل اسم أحد جسور مدينة قسنطينة السبعة. إذ تشتهر قسنطينة بموقعها الجغرافي الاستثنائي، فهي مدينة مبنية على صخرة فوق واد، وترتبط الجسور المختلفة بين طرفي المدينة. اختار المترجم أن

يقتضى أسماء الفصول كما هي من اللغة العربية ويضيف مكافئاً باللغة الإنجليزية بين قوسين. وتأتي إضافة المكافئ الإنجليزي بغرض تمكين قارئ النص المترجم من إكمال المعنى. *Majaz al-Ghanam (The Bridge at Flock Crossing) (120) Jisr al-Shayatin (Demons' ridge) (155)* وحقيقة أن المترجم لم يختر أحد الأسلوبين ولكن جمع بينهما تعني ضمناً أنه على استعداد للاحتفاظ بهذه العلامات الخاصة بالثقافة الجزائرية وفي نفس الوقت لا يريد أن تكون عقبة أمام فهم القارئ. تسمح الترجمة الحرفية هنا بالاتصال الفعال بين القارئ والنص، بينما يحافظ الاقتراض على وضوح ثقافة النص الأصلي.

أخيراً، وفيما يتعلق بالهوامش أو الحواشي، فقد كان استخدام جرانارا لها قليلاً على الرغم من زخر النص العربي بالمصطلحات المرتبطة بالثقافة والتي قد تتطلب شرحاً. ربما يكون المترجم قد ارتأى منح القارئ تجربة قراءة ممتعة مع الحد الأدنى من المقاطعة. كما أنه أوضح في مقدمته أن النص على قدر من الصعوبة وأنه بالتالي مفتوح على تأويلات عدة، فلعله أراد بهذا أن يمنح للقارئ فرصة أكبر للمشاركة في بناء المعنى. بالنسبة لجونفور ميجدال (Gunvor Mejdell) يجعل استعمال الحواشي ما يتم إضافته للنص واضحاً للقارئ فيما تزيد الإضافة إلى متن النص مباشرة من مقروئية النص وترفع الحواجز بينه وبين القارئ. (G. Mejdell, 2011:166) ولعل هذا ما نحى جرانارا نحوه، فجاءت الحواشي في معظمها لتُعرف القارئ على بعض الأسماء التي ورد ذكرها في متن النص (أفراد، كتب، أماكن...).

كثيراً ما يكون اللجوء إلى الحواشي في الترجمة ضرورة وليس اختياراً. ونحن لا نعتقد بأن دور المترجم هو تفسير كل ما قد يستعصي فهمه على قارئ النص المترجم، لكن في الوقت ذاته يمكن أن تصرف الصعوبة المتلقي عن مواصلة تجربة القراءة. وبالطبع الفائدة الأكبر للحواشي هي مساهمتها في إظهار ثقافة النص الأصلي وتقريبها إلى المتلقي، وربما يكون الاستعمال المحدود لها في الترجمة التي بين أيدينا سبباً في إعاقه النقل الثقافي أو تقليله.

بعد أن قمنا في الجزء الأول من هذا البحث بتحليل العتبات النصية في الترجمة الإنجليزية لرواية "الزلزال"، نقوم فيما يلي بتحليل بعض الأمثلة من نص الرواية للوقوف على الكيفية التي تم بها نقل الثقافة الجزائرية إلى القارئ الأنجلوفوني.

يبرز المثال الموالي كيف يلجأ المترجم أحيانا إلى استعمال أسلوب الإيضاح أو الإضافة حين يدرك أن الاكتفاء بما ورد في النص الأصلي قد ينجم عنه لبس في الفهم. كما يتيح هذا الأسلوب، في هذه الحالة، نقل تفاصيل أكثر عن الثقافة الجزائرية وردت مضمنة في النص الأصلي.

"قرأنا العلم الشريف، وجالسنا العلماء، وكافحنا مع الشيخ ابن باديس، تغمده الله برحمته الواسعة، وتفقهنا في المذاهب الأربعة، ولم نعر على هذا المنكر."

"We studied sacred scriptures and sat at the feet of our learned, pious teachers. We fought on the side of our reformist hero, Ibn Badis. May God shower him with His infinite mercy! We mastered the precepts of the four schools of Islamic law, but we never anticipated this abomination." (27)

من الواضح أن المترجم في هذا المثال أراد أن يسלט الضوء على أن الشاب بولاروح وزملائه الطلاب كانوا يدرسون الشريعة الإسلامية بشكل أساسي. ثم ميز بين حالة التعلم العادية في المدارس والتي سيتخيلها القارئ الأنجلوفوني بمجرد قراءة كلمة "we studied" وتلك التي وصفها بولارواح (التعلم عند الشيوخ في المساجد) بإضافة عبارة "at the feet". كما أضاف "reformist hero" ليعطي القارئ فكرة عن شخصية الشيخ عبد الحميد ابن باديس وأنه مرتبط بحركة الإصلاح. تسمح هذه الإضافات بفهم أفضل للوضع الموصوف والذي اختصت به الدول العربية والإسلامية في الماضي، حيث كان طلبة العلم يتعلمون على يد المشايخ، ويركزون على العلوم الشرعية أكثر من غيرها. كثيرا ما يُنتقد لجوء المترجم المبالغ فيه إلى أسلوب الإيضاح لما له من تبعات على الأسلوب والمضمون،

لكننا نرى أنه فيما يخص هذا المثال جاءت الإضافات لصالح الثقافة الجزائرية التي ظهرت بعض تفاصيلها هنا، وهو ما يجعلنا نعتقد أن النقل الثقافي في هذه الحالة تم بنجاح. في المثال الموالي لجأ المترجم لأسلوب الإضافة مرة أخرى، لكن لا يمكننا اعتبار الترجمة موفقة من حيث إظهار معالم الثقافة الجزائرية. فلقد سمحت الإضافة بتبني القارئ إلى أن ما سيلبي ذكره هي مجموعة من الأغاني من التراث الجزائري واسعة الانتشار، غير أن الاعتماد على الترجمة الحرفية في عناوين الأغاني دون أي شرح إضافي حجب دون شك الكثير من التفاصيل عن متلقي النص الإنجليزي.

"عيسى الجرموني يرتفع صوته من هناك- يا عين الكرمة واعطي الأخبار -و

الفرقاني من هنا- السانية و البئر و الناعورة -و الشيخ الكرد من هنالك- طهر يا لمطهر".

"And then there are the same old songs. Issa Jarmouni sings: 'Ayn Kirma bring me your news.' Ferghani sings about the garden, the well and the water wheel. 'Shaykh al Kurdi, circumciser, do your thing!'" (33)

فلا يمكن له أن يتنبأ بأن "عين الكرمة" تشير إلى مكان فيه على الأغلب عين

يسقي منها الناس وكروم، النص الإنجليزي عام وقابل للفهم على عدة وجوه، لكنه بالتأكيد

فشل في نقل صورة الحياة في الجزائر في أوائل القرن الماضي أين كان الناس يضطرون للتنقل

لمسافات طويلة لجلب الماء، كما أن الناس كانوا يعتبرون العين مكانا للقاء وتبادل

الأحاديث والأخبار وهو حال عيسى الجرموني الذي كان يلتقي المحبوب عند العين.

وتم ترجمة مفردة "السانية" ب "garden" وهي ترجمة مقبولة من حيث أنها تحيل إلى

معنى المساحة الصغيرة المخصصة للغرس مقارنة مع الحقول مثلا. غير أننا نرى مشكلتين في

هذه الترجمة: أولهما أن السانية في الثقافة الجزائرية هي تلك المساحة التابعة للبيت والتي

تستغل لغرس الخضر والفواكه وبعض الأشجار المثمرة فيما يشتمل المرادف الإنجليزي على

معاني أخرى كحديقة الورود أو الحديقة العامة، ثانيهما أن المفردة هي من اللهجة العامية وليس من اللغة الفصحى، وكلا التفصيلين غائب في المكافئ الإنجليزي. ولاقى عنوان أغنية الشيخ الكرد نفس المصير، فلم يفلح المكافئ الإنجليزي في إظهار الجانب الاحتفالي المرتبط بالختان، كما أغفل خصوصية المعنى في كلمة "المطهر"، وهو في الثقافة الجزائرية الشخص الذي يقوم بعملية الختان، ولم يعد له وجود اليوم، بعد أن أصبح الأطباء هم من يتكفلون بهذه المهمة. فالكلمة الإنجليزية "circumciser" لا توضح المعنى الخاص وقد يلتبس الأمر على القارئ، خاصة إذا علمنا أن بعض المناطق في إفريقيا لديها تقليد ختان البنات، وهو أمر مستهجن في الغرب، ومن الممكن أن يعتقد القارئ أن نفس التقليد موجود في الجزائر. إن هذا المثال يبرز لنا كيف يمكن لملامح ثقافة النص الأصلي أن تُطمس في الترجمة، لكن إلى أي مدى يتحمل المترجم مسؤولية ذلك؟ وهل لديه خيارات أفضل متاحة؟ نعتقد أن النصوص الزاخرة بالتفاصيل الثقافية تُحتم على المترجم أن يكون انتقائيا في تركيزه على هذه التفاصيل في الترجمة بما يتناسب مع فهمه للنص وبالتالي ما يراه هو مفيدا لبيان هذا الفهم في الترجمة. ربما لم ير المترجم ضرورة للتركيز على هذا التفصيل بالذات وهو ما أدى حسب رأينا إلى إخفاق في نقل هذا الملمح الخاص بالثقافة الجزائرية.

يوضح المثال الأخير كيف يمكن للترجمة أن تطمس ثقافة النص الأصلي وتضيع على القارئ الأنجلوفوني فرصة اكتشاف وفهم أحد الجوانب الاجتماعية في جزائر ما بعد الاستقلال.

" أين قسنطينة بالباي وبالفقون وبن جلول وبن تشيكو وبن كرايه؟ زلزلت زلزالها. زلزلت زلزالها، وحل محلها قسنطينة بو فناره وبوالشعير وبوالفول وبوطمين وبو كل الحيوانات والنباتات." (20)

"Where is the Constantine of Belbey and Belfagoune, Ben Jaloul, Bel Tshikho and Beb Krara? There's already an earthquake, it's come and gone, and Ben Finara and Ben Shair, Benfoul, Ben Tamin and every Ben so- and-so have arisen in its aftermath." (38)

يقابل النص العربي بين طبقتين من المجتمع، الأولى كانت مرموقة وبارزة اجتماعيا إبان الاحتلال الفرنسي، غالبا لاحتكاك أفرادها بطبقة المعمرين، كما أنّ تواجدهم في المدن الكبرى منحهم فرصة التعليم والعمل. أما الطبقة الثانية فقد كانت تعاني ويلات الفقر والجهل، وجاءت ثورة التحرير ومن بعدها الاستقلال ليعطوا أفرادها أملا في غد أفضل. إلى غاية وقت قريب، كانت الطبقة الأولى تنظر للطبقة الثانية على أنها السبب وراء تعكر صفو عيشها. فقد عرفت الجزائر غداة الاستقلال حركة هجرة جماعية من الأرياف إلى المدن وهو ما أدى إلى حالة من الاكتظاظ والفوضى لم تستسغها الطبقة التي أصبحت بعد رحيل الفرنسيين الوريث الشرعي للمدينة.

تتم المقابلة بين الطبقتين من خلال اختيار الكاتب لألقاب لعائلات بعينها، فجاءت المجموعة الأولى كلها لعائلات تبدأ ألقابها بـ "بن" أو "بل" وكلاهما يعني "ابن"، فيما ابتدأت ألقاب المجموعة الثانية بـ "بو" وتعني "أبو". غير أن النص المترجم استعمل "بن" لجميع الألقاب فلم يُكْمِ القارئ من التفريق بين المجموعتين حتى ولو شكليا. المشكل الثاني وربما الأهم في هذه الترجمة هو فشلها في توضيح الصراع كما عبر عنه الطاهر وطار الذي اختار في المجموعة الأولى ألقاب لعائلات مرموقة من أصول تركية أو غيرها، فيما حملت ألقاب العائلات في المجموعة الثانية في معظمها معاني المحاصيل الزراعية وختم العبارة بـ "بو كل الحيوانات والنباتات" ليؤكد أن الصراع هو صراع بين أهل المدينة وأهل الريف⁵. كل هذه التفاصيل غائبة تماما في النص الإنجليزي الذي نظنه زاد من حيرة القارئ، فما معنى أن يحل "بن" محل "بن"؟ لقد فشلت الترجمة الإنجليزية في نقل هذا الصراع الاجتماعي

والذي يعد واحدا من زلازل كثيرة زعزعت استقرار مدينة قسنطينة من وجهة نظر الشيخ بولارواح. ربما تكون المشكلة هنا أكبر مقارنة بالمثل السابق، إضافة إلى البعد الثقافي يحمل هذا المثال في طياته الفكرة الجوهرية للرواية وصراعها الأساسي، وأي قصور في الترجمة سيؤثر ليس فقط على الصورة الناتجة عن الثقافة الأصلية ولكن أيضا على فهم المتلقي. من هذا الجانب تحديدا نجد هذا المثال مثيرا للاهتمام، فعادة يكون المترجم في وضع يجبره على المفاضلة بين التواصل مع القارئ أو الحفاظ على الخصوصية الثقافية للنص الأصلي، غير أننا هنا لا نرى أن أي من الهدفين قد تحقق.

الخاتمة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة تحليل آليات نقل الثقافة الجزائرية في الترجمة الأدبية إلى الإنجليزية في رواية "الزلزال". وقد خلصنا إلى أن الترجمة بجميع مكوناتها، أي النص والعتبات النصية، نجحت أحيانا في إبراز بعض ملامح الثقافة الجزائرية وسمحت للقارئ الأنجلوفوني باكتشاف "آخر" ربما لم يسمع عنه قبل قراءة هذا النص. ونحن هنا وإن كنا لا نعمم فكرة نجاح الترجمة الإنجليزية في مد جسور التواصل بين الثقافة الجزائرية والقارئ الأنجلوفوني، إلا أنه من الواجب التنويه بالمجهود المحترم الذي بذله ويليام جرانارا في ترجمة هذه الرواية التي هي أشبه بحقل ألغام، ما إن تفرح بعبور لغم حتى ينفجر الآخر في وجهك. من جهة ثانية لاحظنا أن الترجمة أخفقت في مواضع عدة ولم تتمكن من نقل الثقافة الجزائرية بشكل فعال للقارئ الأنجلوفوني وكانت عقبة أمام فهم سليم لكثير من المعلومات الغريبة عنه. فحقيقة أن المترجم على وعي بالاختلاف الكبير بين الثقافتين لا يعني إلمامه بكل تفاصيل الثقافة التي ينقل منها. إن غنى النص بالمفردات المحلية وكذا وصفه الدقيق للحياة اليومية في مدينة قسنطينة بعد الاستقلال يجعل فهمه يستعصي على الكثير من الشباب الجزائري اليوم ناهيك عن رجل أمريكي. فلا يمكن لوم المترجم على نقص في فهمه، ولا يجب التسرع في الحكم على ما نحسبه مشاكل في الترجمة على أنه تجاهل متعمد لثقافة الآخر، فقد يكون الأمر ببساطة عدم إحاطة بهذا المفهوم أو ذاك.

ثم إن من السداجة الاعتقاد بأن تعالي الأصوات الداعية إلى إنهاء الثقافة الامبريالية والخروج من المركزية الأوروبية يعني انتهائها على أرض الواقع، فما زال هناك طريق طويل أمام الإنسانية لتحقيق تغيير ملموس وإن كنا نثمن ما قد تم تحقيقه بالفعل. فقد دلنا تحليل العتبات النصية خصوصا على أن هناك دائما ميل لفرض رؤية "الذات" وفهم

ل"الأخر" من خلال المرجعية الغربية ومعاييرها، وهو ما ذهب إليه الكثير من منظري الترجمة، أشرنا إلى بعضهم فيما سبق.

أخيراً يمكن القول بأن الترجمة الإنجليزية لرواية "الزلزال" للطاهر وطار قد تأرجحت بين انفتاح على ثقافة الآخر ومحاولة نقلها بأكثر فعالية ممكنة تارة، وبين انغلاق على الذات والإصرار على فهم الآخر من خلالها تارة أخرى. وهو الحال ربما بالنسبة للترجمة الأدبية عموماً، مع تفاوت في المسافة التي يقف عليها كل مترجم بين الخيارين. إن الترجمة إلى اللغة الإنجليزية لا بد أن تتأثر بشكل أو بآخر بهيمنة الرؤية الغربية، بشعرية اللغة الإنجليزية، وبالخطاب السائد. غير أن هذا لا يجب أن يكون مبرراً لوضع الترجمة والمترجم في وضع المتهم الذي لا بد له من إثبات براءته. فدوافع المترجم واختياراته لا تكون بالضرورة مرتكزة على إيديولوجيا معينة أو إحساس بالتميز والفوقية، وإن كنا لا ننفي هذا الاحتمال.

فالحكم على مدى نجاح الترجمة في نقل الثقافة الجزائرية من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية يتطلب دراسة معمقة للسياق الثقافي الذي ظهرت فيه، ومحاولة حقيقية للفهم دون الوقوع في فخ الاستسهال وإصدار الأحكام، وهو ما سعت هذه الدراسة لفعله.

الهوامش:

1. نشرت رواية "الزلازل" أول مرة عام 1974، هذه الدراسة اعتمدت على طبعة منشورة عام 2007 كما هو موضح في قائمة المراجع أسفله.
2. ينظر: - عصفور، جابر. (1999، أكتوبر). الإرهاص بزلزال التطرف. مجلة العربي. العدد 491.
- عصفور، جابر. (1999، ماي، 26). مراجعة رواية الزلازل. جريدة الحياة. رقم العدد: 13227، الباب/الصفحة: 20 - ملحق آفاق.
3. يمكن الاطلاع على السيرة الذاتية وجزء من أعمال المترجم على الصفحات الالكترونية التالية:
<https://nelc.fas.harvard.edu/people/william-granara>
<https://www.researchgate.net/profile/William-Granara>
4. ينظر: M. Lynx Qualey.(Octobre 25,2011). **In other words: Trust your translator? Egyptindependent**
<https://egyptindependent.com/other-words-trust-your-translator/>
5. ينظر: زمولي، ي. (2005). الألقاب العائلية في الجزائر من خلال قانون الحالة المدنية أواخر القرن التاسع عشر ميلادي: مدينة قسنطينة نموذجاً 1870-1900. مجلة إنسانيات. (ص 129-142).
<https://doi.org/10.4000/insaniyat.4559>
المراجع باللغة العربية:
6. وطار، ط. (2007). الزلازل (ط 1)، الدار العربية للعلوم، لبنان.
7. فاسي، م. (2000). دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصة للنشر.
8. بن حركات، ج. (2017). الصراع الإيديولوجي في رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، مجلد 9 العدد2. (ص 47-67).
9. زغبنة، ع. (2004) شخصية الشيخ العالم وأبعادها في رواية "الزلازل" للظاهر وطار. مجلة البحوث والدراسات العدد 4، (ص 259-272)
10. عتيق، م. (2011). الرواية الوطارية من منظور استشرافي، مجلة الأثر، عدد خاص: أشغال الملتقى الدولي الخامس في تحليل الخطاب "الخطاب الروائي عند الظاهر وطار"، يومي 23 و24 فيفري 2011. (ص 67-73).

Bibliography in English:

1. Wattar, T. (2000). *The Earthquake*, Trans William Granara. Saqi Books
2. Cox, D. (2017). CH8: Algeria. in Wail Hassan (ed) *The Oxford Handbook of Arab Novelistic Traditions*. (pp157-172)
3. Venuti, L. (1998). *The Scandals of Translation: Towards an Ethics of Difference*. Routledge.
4. Venuti, L. (1995). *The Translator's Invisibility: A History of Translation*. Routledge.
5. Spivac, G. (2012). "The Politics of Translation." In L. Venuti (ed.): *The Translation Studies Reader*. Third edition. Routledge, pp. 312-330.
6. Lefevere, A. (2002) "Composing the Other" in Bassnett, S & Harish Trivedi (eds). *Post-Colonial Translation: Theory and Practice*. Taylor & Francis e-Library. pp 75-94.
7. Lefevere, A. (2003) *Translation/History/Culture*. Taylor & Francis e-Library.
8. Bassnett, S & André Lefevere. (1998). *Constructing Cultures: Essays on Literary Translation*. Topics in Translation. Multilingual Matters 11.
9. Bassnett, S. (2005). *Translation Studies*. Third edition. Taylor & Francis e-Library.
10. Chesterman, A. (1997). *Memes of Translation: The spread of ideas in translation theory*. John Benjamins Publishing Company. Amsterdam/Philadelphia.
11. Cox, D. (2002). *Politics, Language and Gender in the Algerian Arabic Novel*. Lewiston: Edwin Mellen Press.
12. Cox, D. (1997). The novels of Tahar Wattar: command or critique? in *Research in African Literatures*, 28. http://sherpa.bl.uk/130/01/The_novels_of_Tahar_Wattar.pdf
13. Genette, G. (2001) *Paratexts: Thresholds of Interpretation*. Trans: Jane E Lewin, Cambridge University Press, Digital printing.
14. Taher, B. (1996). *Aunt Saftyya and the Monastery* Trans : by Barbara Romaine. Berkeley: University of California Press.
15. Mejdell, G. (2011). "A Modern Egyptian Literary Classic Goes West: Translations of Taha Hussein's Novel *Al-Ayyam* and their Paratextual Features", in *Literature, Geography and Translation: Studies in World Literature*, pp 152-171.